هذا الكلاب ولكن مستن بجا من خوف الحجاج ومررت اعلث
من ساعتي فاجد الكلب مقتولا فسالت عنه فقيل جاء امر
الحجاج بقتل الكلاب فعجبت من عموم جوره واما حلمه
فحكى انه خرج يوما ظاهر الكوفة فصادف اعرابيا رجل فقال
ما تقول في الحجاج فقال زعموا انه من ثمود ولقي سوء سيرته
[illegible] وعليه لعنة الله فقال الحجاج اتعرفني فقال لا فقال الرجل
اتعرفني ايها الامير قال لا قال انا مولى بني عامر اجن
في كل شهر ثلاثة ايام هذا اليوم اشدها فضحك من قوله وصفح
عنه واتي بقوم من جماعة ابن الاشعث فامر بضرب اعناقهم
فقام رجل فقال ايها الامير ان لي عندك يدا فقال وما هي
قال شتمك رجل بحضرة ابن الاشعث فرددت عليه فقال من
يشهد لك فقال هذا واشار بيده الى رجل منهم فقال صدق
ايها الامير قال ما منعك ان تفعل كما فعل قال بغضي اليك فقال
الحجاج اطلقوا هذا ليده عندنا وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت
وقال يوما لاحمد بن يونس فكرت في امرك فوجدت دمك
ومالك لي حلالا فقال ايها الامير اشد ما في الغصة ان هذا الراي
بعد الفكر فضحك وعفى عنه وكان عنده يوما بعض ندمائه
فعطس عطسة منكرة ففزع الحجاج وقام مغضبا وقال ما اردت
بهذه العطسة الان وعنى فقال ايها الامير هذه والله عادتي
فقال والله لئن لم تاتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك
فخرج الرجل فوجد بعض اصحابه فقص عليه الامر فقال
انا اشهد لك فدخلا على الحجاج فقال الصاحب بما تشهد فقال
ايها الامير اشهد انه عطس عطسة وقع منها ضرسه فضحك
الحجاج

الحجاج حتى استلقى وقال حسن واما فصاحته وبلاغته
فمنها خطبته المشهورة المطولة مثل ديباج الحاج وغيره
وفصوله العجيبة في الكتابات وعلى المنابر قال مالك بن دينار
والله لربما رايت الحجاج على المنبر يذكر حسن صنيعه الى اهل العراق
وسوء [illegible] حتى يخيل لي انه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني
كلمة سمعتها من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرءا ذهبت
ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير ان تطول حسرته
وخطب يوما فقال ايها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها
اسأل شيء اذا اعطيت واعصى شيء اذا سئلت فرحم الله امرءا
جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها
بزمامها عن معاصي الله فاني رايت الصبر على محارم الله ايسر
من الصبر على عذابه وبلغه وفاة اخيه وابنه فصعد المنبر
وقال محمد ان في يوم اما والله ما كنت احب ان يكونا معي في
الدنيا بما ارجو لهما من ثواب الآخرة وايم الله ليوشكن الباقي
منا ومنكم ان يفنى والجديد ان يبلى وتدال الارض منا كما اكلنا
من لحومنا وتشرب من دمائنا كما اكلنا من ثمارها وشربنا
من انهارها وخطب يوما فقال ان الله امرنا بالعمل وكفانا الرزق فليته كفانا
العمل وامرنا بالرزق وكفينا العمل وقال ايها الناس ما احب
ما مضى من الدنيا بما بقي منها هذه ولما بقي منها اشبه بما مضى من
الماء بالماء ولما قتل عبد الله ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء
فصعد الحجاج المنبر فقال الا ان ابن الزبير كان من احبار
هذه الامة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها اهلها واسكن حرم
الله ولو كان شيء مانعا للعصاة لمنعت ادم حرمة الجنة لان
الله تعالى خلقه بيده واسجد له ملائكته واباحه جنته فلما عصى
اخرجه منها بخطيئته وادم على الله اكرم من ابن الزبير والجنة

Copyright © King Saud University